قراءة نقدية في إثارات السيد كمال الحيدري_ق١

الشيخ حسن الجزيري

من منشورات موقع كتابات في الميزان

http://www.kitabat.info/index.php

تمهيد:

ذكر السيد كمال الحيدري حفظه الله وهداه للحق -في الحلقتين من حلقات إثاراته حول النهضة الحسينية لهذا العام ١٤٤٠ هـ-.

بعض الروايات وبنى عليها دون تحليلها تحليلا موضوعيا أو النظر الى ما تكتنفه الروايات من قرائن وعلى ماذا تدل، فكان ينبغي عليه - خصوصا وانه يرى مبنى الوثوق وتجميع القرائن - أن يلحظ كل الروايات ثم يستنبط ما يستفاد منها، لا أن يجعل البحث مستندا على الدلالة والمتن دون التثبت من القرائن المعينة للسياق الطبيعي والتاريخي لها، لاسيما وأننا لانمتلك تاريخا موضوعيا ونزيها فأغلبه ولد في أحضان الأروقة السلطانية...

وبأي حال فمن يكون منهجه نضد القرائن لبعضها البعض فيجب عليه سبر سياقات الروايات وملاحظة جميع ما له دخل في صحتها ونقدها من السند وغيره، فإن السند وان كان لا يشكل فارقا منهجيا بنظره او بنظر المنهج التاريخي، إلا أن القرينية تقتضي دراسة السند وما يكتنف الرواية من ظروف سياسية وإجتماعية ودينية، وإلا كان الامر مجرد إنتقاء ما يوافق المشتهى.

وبعد هذا نقول :

لقد ذكر السيد الحيدري رعاه الله وهداه للصواب روايتين لهما نفس المضمون بإختلافات لفظية لا تقدح في المعنى..

▪الرواية الاولى:

عن البلاذري ١٤٩/٣ وجاء فيها: أن قوما دخلوا على الإمام الحسين (ع) عند ارتحاله من قصر الكوفة فلمّا رأى ما بهم من الكآبة وسوء الهيئة ذكر (لهم كراهيته للصلح وقال :

لكنت طيّب النفس بالموت دونه، ولكن أخي عزم عليّ وناشدني فأطعته، وكأنما يحزّ أنفي بالمواسي ويشرّح قلبي بالمدى .. الخ) .

▪الرواية الثانية :

وهي التي نقلها إبن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة - ١٦/١٦- عن المدائني وفيها أن الامام الحسين (ع) قال : (لقد كنت كارها لما كان، طيّب النفس على سبيل أبي حتى عزم علي أخي فأطعته، وكأنما يجذ أنفي بالمواسي.. الخ).

والكلام فيها من جهات :

■ الجهة الاولى:

في ترجمة المدائني والبلاذري :

{أ} ترجمة المدائني :

فهو ممن إختلف فيه أرباب الرجال بين طاعن وموثق، فيقول عنه ابن عدي في الكامل ٢١٣/٥ : (ليس بالقوي في الحديث وهو صاحب الأخبار) وتابعه إبن حجر تلميحا لا تصريحا في لسان الميزان ٢٥٣/٤ بقوله : (لم أره في ثقات ابن حبان وهو على شرطه).

وخالفهم في ذلك الذهبي- سير الاعلام ٤٠٠/١٠ - فقال : (نزل بغداد وصنف التصانيف وكان عجبا في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب مصدقا فيما ينقله عالي الاسناد) وذكر اخرون أنه من جلساء المأمون العباسي ومحدثيه.

وهو في قسم المجاهيل لدى رجال الشيعة ولم يذكره سوى الشيخ الطوسي قدس في الفهرست صـ١٥٩ بقوله : (علي بن محمد المدائني عامي المذهب) وقد أخذ عن الشيخ الطوسي من جاء بعده، وبأي حال فهو بين مطعون فيه وموثق له ومجهول الحال .

{ب}_ترجمة البلاذري:.

فترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء -١٦٢/١٣-وابن عساكر في تاريخ دمشق -٧٥/٦- أنه من ندماء المتوكل ومداحيه فقد أثنى عليه بمدائح وقصائد، كما انه من جلساء المأمون، فهو من المقربين للبلاط الأموي ومربيا لأولاد العباسيين، وبعض أعلامنا ذكره بكلام فيه مدح له في الجملة، إلا أن الرجل -كما ذكر البعض- وسوس في آخر عمره وجنّ..

كما انه -كغيره من اصحاب السير- رحالة يزور البلاد فيكتب عن لسان اهلها ما جرى على البلاد والعباد وهذا ما يدعوه الى عدم اسناد بعض المنقولات والحكايا فتارة تراه يسند القول وتارة يقول (قالوا) وتارة يحكيه حكاية الشاهد، وذلك لانه يأخذ ما يصل اليه ويشاهده فيكتبه..

■□الجهة الثانية :

في حال الروايتين:

ان ابن أبي الحديد نقل الرواية المذكورة عن المدائني وهي بنصها -تقريبا- مذكورة عند البلاذري بنحو لا يخل بالمعنى إلى حدٍّ ما، ومن المعلوم أن المدائني أحد شيوخ البلاذري وقد لازمه طويلا و إعتمد في النقل عنه كثيرا، وهذا ما يبعث على الإطمئنان بأن المدائني هو الأصل في النقلين، فتكون الروايتان رواية واحدة وأصلها المدائني.

■□الجهة الثالثة :

في تحقيق الروايتين :

باعتبار ان البلاذري نقل الرواية بقوله (قالوا) فقد يُقال باحتمال كونهما روايتين، وعلى أي حال سواء قلنا بوحدتهما أو باختلافهما فتارة يفرض أن البلاذري نقل الرواية عن المجاهيل الذين عبر عنهم بقوله (قالوا) وتارة نرجح أنه نقلها عن المدائني كما هو الصحيح .

◊فعلى الاحتمال الاول :

لايسعنا التصديق بمضمونها وذلك لأمور :.

》 أولا": أن البلاذري نقل قضايا كثيرة سمعها من الناس كما في غيرها من الاخبار فلقد كان رحالة في البلاد يسمع من أهلها أخبارهم فيأخذ عنهم ولا يعلم عمن أخذ أعن صادق أم كاذب، حاقد أم منصف، ومن يكون هذا حاله في النقل لا يسعنا الإعتماد على منقولاته ما لم تعضدها القرائن المورثة للإطمئنان، ولذا يجب التوقف فيما يتفرد بنقله..

》 ثانيا": أن الرجل من ندماء خلفاء بني العباس بل هو نديم وجليس لأكثرهم نصبا وهو المتوكل، ولا يخفى عداء المتوكل للحسين وأبوهما (ع) فلم يقتصر الأمر على كونه نديما للمتوكل بل كان من جلساء المأمون وقيل من جلساء المعتمد ومن بينهما، بل كان مربيّا لأولاد بعض خلفاء العباسيين، إذن للرجل قدم راسخة في بلاط العباسيين وخصوصا النواصب منهم..

》 ثالثا": أن النقل عن الإمام الحسن(ع) بهذه الطريقة وتقريع موقفه من معاوية وابداء معارضة الهاشميين وعلى رأسهم الإمام الحسين(ع) يوجب الريبة في ذلك، من حيث أن بني الحسن عليه السلام هم أشد من واجه العباسيين حتى قتلوا من بني الحسن(ع) مقتلة ليست بالقليلة، فإن المنصور وبعد ظفره ببعض ابناء الحسن(ع) عيّرهم بفرية بيع جدهم الامام المجتبى(ع) الخلافة على معاوية بدراهم معدودة في حين أن الإمام(ع) مشغول بالنساء، وكأنها اشارة الى فرية كثرة زوجاته وزواجاته هذا ان لم يكن هو اول من افترى على الامام بهذه الفرية، وهذا المعنى منسجم مع توجهات البلاذري الذي كان من ندماء العباسيين لا سيما النواصب منهم كالمتوكل والمامون، مما يجعلنا مطمئنين أن الرواية ألقحت في قصور العباسيين وتم ولادتها في كتاب البلاذري، ومن يكون هذا حاله كيف يوثق بالاخذ عنه!.

》 رابعا": أن الرواية منقولة عند البلاذري بقوله (قالوا) ومن ملاحظة علاقته ببني العباس فيغلب على الظن أن القائلين هم بنو العباس، ولا أقل من ترجيح كفة العباسيين على غيرهم فهم المستفيدون من الطعن في منافسهم الأقوى وهم بنو الحسن، بل حتى لو لم نعرف القائل فإن الظروف المحيطة بالإمام الحسن(ع) والظروف والاقاويل التي صنعها بنو أمية من جهة وبنو العباس من جهة أخرى يجعلنا نتوقف في حال هذه الروايات، فإن الامام الحسن(ع) أحيط بالكثير من الشبهات والطعون والإشاعات من قبل دولتي بني العباس وبني أمية، ومن خلال هذا نعرف أن هذه الرواية أقرب للإشاعة منها للحقيقة..

◆والنتيجة:

أن علاقة البلاذري بالعباسيين، وكونه نديما للنواصب منهم، ونقله عن الناس بدون معرفة المنقول عنه، واثارة الاشاعات من العباسيين في بني الحسن يجعلنا نطمئن بوضعها وكذبها، ويدعم هذا أنه وأستاذه المدائني على مشرب واحد كما سيأتي.

وعلى الاحتمال الثاني: وأنه أخذها عن المدائني - كما هو الأرجح - :

أيضا لا يمكن لنا التصديق بروايته وإعتبارها، وذلك أن المدائني مضافا الى الطعن فيه من بعضهم فهو أحد أبطال روايات أن الامام الحسن (ع) مزواج ومطلاق، فقد روى تهذيب الكمال-٢٣٦/٦- وابن عساكر في ترجمة الامام الحسن - ١٥٢- عن المدائني ان الإمام الحسن ع (أحصن تسعين امرأة).

ومن يفتري على الإمام بهذه الفرية العظيمة -التي لا تقبل التصديق لدى كل عاقل ومنصف سوى الحاقد المبغض والتي تتناسب مع أهداف بني أمية وبني العباس - لا يؤمن منه أن يفتري على الإمام(ع) غيرها، ومما يرجح هذا أن المدائني هو الآخر من جلساء خلفاء بني العباس ومداحيهم.

● ومن جانب أخر :

فان المدائني ولد في حدود سنة ١٣٠ هـ والبعد الزمني بين وقوع الصلح وولادة المدائني والذي يصل الى ٩٤ عاما تقريبا يجعلنا نتسائل من أخبره بهذا الخبر؟

لا لأننا نعتمد الاسانيد في التاريخ بل لأن القضايا السياسية في تلك الحقبة وعلاقة المدائني بالعباسيين وكونه يكتب ما يسمع من الناس في الوقائع، يجعلنا نميل إلى كونها صدرت في ضمن سياق الإشاعات التي أشاعتها بنو أمية وبنوالعباس فتناقلها الناس وهذه قرائن تدعونا للنظر في روايته.

● وبعبارة أخرى:

ان القضية حصلت في مجلس لم يكن الحاضر فيه الا ثلاثة الحسن والحسين (ع) وابن جعفر، ولم يدرك المدائني والبلاذري احدا منهم، فإما أنه أخذها من بني العباس- وهو الارجح- أو من المؤيدين لبني أمية أو من الشيعة الثقاة، وعلى مبنى تجميع القرائن فإن القول بروايته عن المؤيدين لبني أمية أو بني العباس أقوى من احتمال كونه رواها عن الشيعة الثقاة وأرجح، لضعف نسبة الأخير وأقوائية نسبة الأولين ...

والحمدلله رب العالمين.